تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

الشريط الخامس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

قال المؤلف رحمه الله تعالى.

المتن: **الباب الثاني: في ذكر حقيقة مرض القلب**

الشيخ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

لمّا بين الشيخ رحمه الله أن القلوب تنقسم إلى قلب سليم وقلب ميت وقلب مريض بين الحياة والموت، بيَّن أسباب مرض القلب لأجل أن يمكن علاجه لأن المرض إذا عُرفت أسبابه أمكن علاجه، فمرض القلب له أسباب ولابد من علاج هذه الأسباب.

المتن: **الباب الثاني: في ذكر حقيقة مرض القلب** قال الله تعالى عن المنافقين ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾[البقرة: ١٠].

الشيخ: الله جل وعلا في أول سورة البقرة قال ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: ٨ – ٩] ما هو السبب في النفاق هذا والمخادعة؟ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ مرض الشك والشبهة وحب المال وحب الدنيا، هذا الذي أمرض قلوبهم، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾ ، فالمنافق يزداد مرضه كما أن المؤمن يزداد إيمانه، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾إذا أُنزلت سورة من القرآن ﴿﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤ – ١٢٥]

لماذا زادتهم السورة رجس؟ لأنهم يشكون فيها ولا يؤمنون بها، فتُحدث لهم زيادة المرض في قلوبهم ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ نسأل الله العافية، والله عز وجل قال في القرآن ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

[البقرة: ٢٦ – ٢٧]

فالقرآن من أقبل عليه وآمن به وتدبره فإن الله يهديه به، ومن أعرض عنه ولم يعبأ به واتبع هواه واتبع شهواته فإن القرآن يُضله، لماذا؟

لأنه فاسق خارج عن طاعة الله، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ والفسق هو الخروج عن طاعة الله، ويكون فسقا أكبر إذا خرج من الإيمان إلى الكفر، كما عليه المنافقون النفاق الأكبر، ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ من هم الفاسقون؟ ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾، عاهدوا الله جل وعلا على الإيمان، عاهدوا الرسول ﷺ على الاتباع ثم نقضوا العهد مع الله ومع رسوله، ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ الله جل وعلا أمر بصلة الأرحام وهم يقطعون أرحامهم، وأمر بصلة القرآن بعضه ببعض وعدم تقطيعة وأخذ بعضه وترك البعض الآخر، واتباع المتشابه وترك المحكم، هذه طريقة أهل الزيغ والمنافقين، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ ، الله أمر أن يرد المتشابه إلى المحكم، يفسره ويبينه ويوضحه، وهؤلاء أخذوا المتشابه وتركوا المحكم.

وأما أهل الإيمان فردوا المتشابه إلى المحكم، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧] المتشابه والمحكم كله كلام الله، يفسر بعضه بعضا، وهذه طريقة أهل النفاق، فمثلا الآن يقولون الإنسان حر في عقيدته يختار ما يشاء ويستدلون بقوله تعالى ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾ [الكهف: ٢٩]

هذا جزاء الكافر بالقرآن، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف: ٣٠] هذا جزاء من آمنوا بالمحكم والمتشابه، هؤلاء أخذوا المتشابه﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾وقالوا هذا تخيير، مع أنه ما هو تخيير إنما هو أمر تهديد، فهم يأخذون بعضا ويتركون البعض الآخر لأجل أن يشبهوا على الناس، ويقولون نحن نستدل بالقرآن، نقول كذبتم ما استدللتم بالقرآن، الذي يستدل بالقرآن هو الذي يؤمن بجميع القرآن ويرد بعضه لبعض ويفسر بعضه ببعض، لأنه كله كلام الله، هذا الذي يؤمن بالقرآن، أما من يأخذ المتشابه هذا كافر بالقرآن وليس مؤمنا، فهذه طريقة المنافقين في كل مكان.

المتن: وقال تعالى ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾[الحج: ٥٣]

الشيخ: كما سبق في الآية أن الشيطان إذا تمنى رسول الله ﷺ وتلا القرآن وسمعه من حوله جاء الشيطان وألقى شبها على القرآن وعلى مدلولات القرآن، وربما يسمعون صوت الشيطان، فالله جل وعلا ينزّل القرآن هدىً وشفاءً، والرسول يتلوا القرآن على أصحابه ويعلمهم إياه، ثم يأتي الشيطان فيلقي حول القرآن شبهات ووساوس لأجل أن لا ينتفع به من سمعه، ثم الله جل وعلا ينسخ ما يلقي الشيطان، يبطله ويزيله ويحكم آياته.

ثم بين الحكمة، لماذا الله مكّن الشيطان من هذا العمل، مع أنه قادر على أن يهلك الشيطان ويبطل عمله، ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٤﴾[الحج: ٥٣ – ٥٤] الله حكيم عليم سبحانه وتعالى.

المتن: وقال تعالى ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ [الأحزاب:٣٢] ، أمرهن أن لا يَلِنَّ فى كلامهن، كما تلين المرأة المعطية اللِّيان فى منطقها، فيطمع الذى فى قلبه مرض الشهوة، ومع ذلك فلا يخشنّ فى القول بحيث يلتحق بالفحش، بل يقلن قولا معروفا.

الشيخ: المرأة بحاجة إلى مخاطبة الرجال في أمور دينها ودنياها، في شئونها وحاجاتها؛ لكن عليها أن تتحفظ في مخاطبتها، فلا تمزح مع الرجال ولا تتغزل معهم أو تضحك معهم؛ لأن هذا يُطمع فيها من؟ الذين في قلوبهم مرض، ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ [الأحزاب: ٣٢] إذا لانت في كلامها ومزحت وضحكت فإنه يطمع بها، أما إذا تكلمت كلاما عاديا نزيها معروفا فإنه لا يطمع بها، والله أمرها بالتوسط لا يكون كلامها خشنا وفاحشا بذيئا مع الرجل، ولا يكون كلامها لينا يُطمع من في قلبه مرض، فلتقول قولا معروفا، ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ هذا خطاب لنساء النبي ﷺ وهو خطاب لكل نساء الأمة؛ لأن نساء النبي ﷺ قدوة وهن أمهات المؤمنين، أمهات المؤمنين رجالا ونساء، فالأمة تقتدي بهن، ونساء المؤمنين يقتدين بأمهاتهن، من نساء الرسول ﷺ.

المتن: قال تعالى ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٦٠]

الشيخ: الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب في آخرها قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٧ – ٥٨]

ثم قال ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ مرض الشبهة والشهوة ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ﴾ نُلقي في قلبك البغض لهم، ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ أي في المدينة ﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢﴾ [الأحزاب: ٦١ – ٦٢] هذا في شأن المنافقين الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات

بالكلام السيء والحط من قدر المؤمنين والمؤمنات، وبالإرجاف أيضا يرجفون في الناس، يجيبون أشياء مخوِّفة لكلامهم سيكون كذا وسيحصل كذا واحذروا من كذا وكذا، مقبل عليكم كذا وكذا، فيرجفون، وضعيف الإيمان يصدقهم، أما المؤمن فإنه مطمئن ما يصدقهم ولا يلتفت لهم؛ لكن يؤثرون على بعض المؤمنين، الله قال جل وعلا ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] يسمعون كلامهم ويتأثرون به، فهؤلاء هم المرجفون في المدينة، يتلمسون الأشياء المخيفة والتهديدات، وجاكم البلا وجاكم الشر، هؤلاء مرجفون، أو إذا سمعوا خبرا فيه سوء نشروه، طيروه، هؤلاء مرجفون في المدينة.

والمؤمن ما ينشر هذه الأمور ولا يُروع المسلمين، بل يطمئن المسلمين، نعم لكن هذا نتيجة المرض الذي في قلوبهم.

المتن: وقال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: ٣].

الشيخ: نعم في هذه الآية أخبر الله جل وعلا أن النار خُزَّانها تسعة عشر ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر: ٣٠] ملكا من الملائكة، والنار واسعة وأهلها كثيرون، فقال أبو جهل أنا أكفيكم منها كذا وكذا والبقية عليكم أنتم ونطلع من النار، يعني من باب السخرية والاستهزاء، يقول أنهم قليلون لأنه ما يعرف الملائكة ولا يعرف الملك الواحد وقوته، والله جل وعلا من حكمته أن جعل عددهم تسعة عشر لأجل الفتنة، فتنة هؤلاء حتى يسخروا ويقولوا النار ما عليها إلا تسعة عشر ملك؟ ما يكفون، أهل النار كثيرون، وأهل النار ...الخ. ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾، تسعة عشر ماذا؟ ملائكة، ماهم بشر، ماهم مثلكم، ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ليتكلموا ويقولوا ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ صاروا ثلاثة أقسام، الكفار يسخرون ويقولون هؤلاء ما يكفون أنا أكفيكم كذا وكذا منهم، والمؤمنون من المسلمين ومن أهل الكتاب يصدقون بهذا لأنهم عندهم الوحي وعندهم القرآن وعندهم التوراة والإنجيل فيصدقون ويعرفون الملائكة.

المسلمون وأهل الكتاب يعرفون الملائكة؛ أما هؤلاء ما يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بها، فانقسموا ثلاثة أقسام:

- المؤمنون وأهل الكتاب
- والكفار
- والمنافقون

نعم فالله ذكر الحكمة في عدد خزنة جهنم .

المتن: أخبر الله سبحانه عن الحكمة التى جعل لأجلها عدة الملائكة الموكلين بالنار تسعة عشر، فذكر سبحانه خمس حكم: فتنة الكافرين، فيكون ذلك زيادة فى كفرهم وضلالهم، وقوة يقين أهل الكتاب، فيقوى يقينهم بموافقة الخبر بذلك لما عندهم عن أنبيائهم.

الشيخ: من التوراة والإنجيل.

المتن: عن أنبيائهم من غير تلق من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عنهم.

الشيخ: إنما تلقوا هذا من كتابهم وكتابنا وافق كتابهم ففرحوا بذلك

المتن: فتقوم الحجة على معاندهم، وينقاد للإيمان من يريد الله أن يهديه.

وزيادة الذين آمنوا بكمال تصديقهم بذلك والإقرار به، وانتفاء الريب عن أهل الكتاب لجزمهم بذلك، وعن المؤمنين لكمال تصديقهم بذلك والإقرار به.

الشيخ: أهل الإيمان ما أحدثت هذه الآية ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ ما أحدثت عندهم تردد بل آمنوا بها لأنهم يعرفون الملائكة وقوة الملائكة ويعرفون حكمة الله ولا يشكون.

المتن: وانتفاء الريب عن أهل الكتاب.

الشيخ: ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ لا يرتابون في شأن مُحَمَّد ﷺ إذا وافق ما معه ما عندهم لايرتابون في هذا.

المتن: وانتفاء الريب عن أهل الكتاب لجزمهم بذلك، وعن المؤمنين لكمال تصديقهم به.

الشيخ: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

المتن: فهذه أربعة حكم: فتنة الكفار، ويقين أهل الكتاب، وزيادة إيمان المؤمنين، وانتفاء الريب عن المؤمنين، وأهل الكتاب الخامسة حيرة الكافر.

الشيخ: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ يقول وما الحكمة من هذا؟

المتن: الخامسة حيرة الكافر ومن فى قلبه مرض، وعمى قلبه عن المراد بذلك، فيقول: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾

الشيخ: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ثم قال ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] جنود، الملائكة جنود من جنود الله، والملك الواحد ما يقوم له أهل الأرض كلهم.

المتن: وهذه حال القلوب عند ورود الحق المنزل عليها: قلب يفتتِن به كفراً وجحوداً.

وقلب يزداد به إيمانا وتصديقا.

الشيخ: نعم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ يعني السورة ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤ – ١٢٥]

المتن: وقلب يتيقنه، فتقوم عليه به الحجة.

الشيخ: يتيقنه ولكن لا يتبعه فتقوم عليه الحجة مثل أهل الكتاب، تيقنوا مافي القرآن من الحق؛ ولكن لأجل الكبر والحسد لم يؤمنوا به فقامت عليهم الحجة.

المتن: وقلب يُوجب له حيرة وعمى، فلا يدرى ما يراد به.

الشيخ: إي نعم يتردد فيه، يعني ما عنده إيمان، يتردد، يصير عنده شك، فهذه الحكمة من الله جل وعلا في هذه الآية.

المتن: واليقين وعدم الريب فى هذا الموضع، إن رجعا إلى شيء واحد، كان ذكر عدم الريب مقررا لليقين ومؤكدا له، ونافيا عنه ما يضاده بوجه من الوجوه. وإن رجعا إلى شيئين، بأن يكون اليقين راجعا إلى الخبر المذكور عن عدة الملائكة، وعدم الريب عائدًا إلى عموم ما أخبر الرسول به، لدلالة هذا الخبر الذى لا يُعلم إلا من جهة الرسول على صدقه، فلا يرتاب من قد عرف صحة هذا الخبر بعد في صدق الرسول ﷺ، ظهرت فائدة ذكره والمقصود: ذكر مرض القلب وحقيقته.

وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

الشيخ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ هذا خطاب لجميع الناس المؤمنين والكفار ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس: ٥٧ – ٥٨]

المتن: فهو شفاء لما فى الصدور من مرض الجهل والغي، فإن الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى. والغي مرض شفاؤه الرشد، وقد نزَّه الله سبحانه نبيه عن هذين الداءين، فقال:

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾ [النجم: ١ – ٢]

الشيخ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾أقسم سبحانه بالنجم، والله يُقسم بما شاء من خلقه، ولا يقسم إلا بشيء فيه عبرة وعظه، والنجوم من آيات الله سبحانه وتعالى، وقوله والنجم ليس خاصا بنجم معين، جنس النجوم، ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ يعني إذا غاب بمغيبه، جواب القسم: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾وهو مُحَمَّد ﷺ ماضل عن الحق، ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾نفى عنه الأمرين الضلال والغي.

المتن: وقد نزه الله سبحانه نبيه ﷺ عن هذين الداءين، فقال:﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾ [النجم: ١ – ٢] ووصف رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خلفاءه بضدها فقال: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِى».

الشيخ: الرسول ﷺ قال: «من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا» وماذا نفعل عند الاختلاف؟ «عليكم بسُنَّتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ من بعدي» وهم الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، لأنهم قرروا سنة الرسول ﷺ وحكموا بها فاستقرت بعد الرسول ﷺ بعد وفاته، ولا منجاه من الفتن إلا باتباع السنة، سنة الرسول «عليكم بسُنَّتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ من بعدي، تمسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذِ» من شدة التمسك، فأنت تمسكها بيدك وتعض عليها بسنونك خشية أن تفلت منك، لأنك في موقع خطر مثل الغريق الذي معه حبل في لجة البحر إذا أطلق الحبل هذا غرق وهلك ، فما دام متمسكا بالحبل فإنه ينجو، سنة الرسول ﷺ هي الحبل، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] فلا منجاه من الفتن إلا باتباع الكتاب والسنة، سنة الرسول ﷺ، وسنة خلفائه، لا يُنجي من الفتن إلا هذا.

المتن: ووصف رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خلفاءه بضدها فقال: « عَلَيْكُمْ بِسُنّتِى وسُنَّةِ اَلْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِى»

الشيخ: الراشدين المهديين، الرشد ضد الغي، والهدى ضد الضلالة، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ ففيها معنى الآية.

المتن: وجعل كلامه سبحانه موعظة للناس عامة.

الشيخ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۝٥٧﴾ [يونس: ٥٧] هذا للمؤمنين والكفار.

المتن: وهدى ورحمة لمن آمن به خاصة.

الشيخ: عم ثم خصص، عمم الموعظة وخصَّص الهدايه للمؤمنين، فمن التفت إلى هذه الموعظة هداه الله، ومن أعرض عنها أهلكه الله سبحانه وتعالى.

المتن: وشفاء تاما لما فى الصدور.

الشيخ: لما في الصدور من أمراض الشهوات والشبهات والشكوك، المراد بالصدور هنا يعني القلوب.

المتن: فمن استشفى به صح وبرئ من مرضه.

الشيخ: إستشفى بالقرآن، القرآن موعظة، من استشفى به صح وشُفي من مرضه، لأنه هو العلاج الوحيد لهذا المرض، ما هو العلاج بالمضادات ولا بالحبوب والأشربة هذ علاج للجسم، علاج الطب هذا للجسم، أما علاج القلب من مرضه وشكوكه فهو بالقرآن والسنة.

المتن: فمن استشفى به صح وبرئ من مرضه، ومن لم يستشف به فهو كما قيل:

إِذَا بَلَّ مِنْ دَاءٍ بِهِ ظَنَّ أَنَّهُ ... نَجَا وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِى هُوَ قَاتِلُهْ.

الشيخ: إذا بل: يعني أحس بالشفا ظن أنه نجا؛ ولكنه فيه المرض ما برح، ومرض قاتل، فلا يغتر لأنه تناول شيء من الشفا ما دام المرض لم يغادر.

المتن: وقال تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]

الشيخ:القرآن على نسق واحد لأنه هدايه للمؤمنين، وأنه حجة على الكافرين، كله على نسق واحد، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ يقول من هذه ليست تبعيضيه وإنما هي بيانية، وليس بعض القرآن شفاء وبعضه لا؟. لا، القرآن كله شفا؛ لكن من تأتي للبيان، وتأتي للتبعيض؛ و المراد بها هنا من البيانية.

المتن: وقال تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]

الشيخ: فالقرآن في نفسه شفاء؛ لكن الناس يختلفون منهم من يُشفى به وهم المؤمنون، ومنهم من يمرض به وهم الكفار، لا ينفعهم.

المتن: والأظهر أن "من" هاهنا لبيان الجنس.

الشيخ: نعم من بيانيه وليست تبعيضيه.

المتن: فالقرآن جميعه شفاء ورحمة للمؤمنين.

الشيخ: قلنا أنها بيانيه لأن القرآن كله رحمة للمؤمنين، وليس بعضه رحمه وبعضه لا.

المتن: فصل: ولما كان مرض البدن خلاف صحته وصلاحه، وهو خروجه عن اعتداله.

الشيخ: إنتهى من مرض القلب، انتقل إلى مرض البدن وهو رحمه الله طبيب، وهو من كبار الأطباء، يعرف العلاج ويعرف الأدوية، وسيذكر لكم شيئا من هذا، تعرفون به مهارته في الطب رحمه الله.

المتن: ولما كان مرض البدن خلاف صحته وصلاحه.

الشيخ: خلاف صحة البدن، وصلاحه يعني سلامته، وليس صلاحه الديني وإنما صلاحة سلامته من الأمراض.

المتن: ولما كان مرض البدن خلاف صحته وصلاحه، وهو خروجه عن اعتداله الطبيعى لفساد يعرض له.

الشيخ: مرضه يعني: مرضه بخروجه عن اعتداله، إذا خرج الجسم عن اعتداله مرِض.

المتن: وهو خروجه عن اعتداله الطبيعى لفساد يعرض له.

الشيخ: الطبيعي الذي خلقه الله فيه، مادام الجسم أنه معتدل فهو صحيح، فإذا تأثر هذا الاعتدال مرِض، سواء مرَض كثير أو قليل، إذا خرج عن الاعتدال في قواه وفي حواسه وفي تركيبه.

المتن: ي لفساد يعرض له،فسد به إدراكه وحركته الطبيعية، فإما أن يذهب إدراكه بالكلية كالعمى والصمم والشلل، وإما أن ينقص إدراكه لضعف فى آلات الإدراك مع استقامة إدراكه، وإما أن يدرك الأشياء على خلاف ما هى عليه، كما يدرك الحلو مرا، والخبيث طيبا، والطيب خبيثا.

الشيخ: ولذلك المريض ما يجد لذه في الطعام والشراب، وإن كانت من ألذ الأشياء تكون في مذاقه غير طبيعية، يكون الماء العذب يكون مراً ويكون الطعام رائحته ومذاقه كريها في فمه بسبب المرض، تغير اعتداله، نعم، يقول المتنبي:

قد تنكرُ العينُ ضوء الشمسِ من رمدٍ ويُنْكِرُ الفَمُّ طَعْمَ الماء منْ سَقَم.

المتن: ، وإما أن يدرك الأشياء على خلاف ما هى عليه، كما يدرك الحلو مرا، والخبيث طيبا، والطيب خبيثا.

الشيخ: الخبيث: ما هو الخبيث يعني الحرام؟ لا، الخبيث : الطعام الردي، لأن الطعام ينقسم إلى جيد وردي، الجيد يقال له طيب، الردي يقال له خبيث، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] المراد بالخبيث الشيء الردي، ما هو بالحرام، الشيء الردي.

المتن: وأما فساد حركته الطبيعية: فمثل أن تضعف قوته الهاضمة، أو الماسكة، أو الدافعة أو الجاذبة.

الشيخ: يلا شوفوا هذا الطب.

المتن: وأما فساد حركته الطبيعية: فمثل أن تضعف قوته الهاضمة، أو الماسكة، أو الدافعة أو الجاذبة فيحصل له من الألم بحسب خروجه عن الاعتدال، ولكن مع ذلك لم يصل إلى حد الموت والهلاك، بل فيه نوع قوة على الإدراك والحركة.

الشيخ: هذا الجسم المريض مثل القلب المريض.

المتن: وسبب الخروج عن هذا الاعتدال: إما فساد فى الكمية أو فى الكيفية

الشيخ: خروج الجسم عن اعتداله.

المتن: إما فساد فى الكمية أو فى الكيفية، فالأول: إما نقص فى المادة، فيحتاج إلى زيادتها، وإما زيادة فيها، فيحتاج إلى نقصانها.

والثانى: إما بزيادة الحرارة، أو البرودة، أو الرطوبة، أو اليبوسة، أو نقصانها عن القدر الطبيعى، فيُداوى بمقتضى ذلك، ومدار الصحة على حفظ القوة، والحِمية عن المُؤذى، واستفراغ المواد الفاسدة، ونظر الطبيب دائر على هذه الأصول الثلاثة، وقد تضمنها الكتاب العزيز، وأرشد إليها من أنزله شفاء ورحمة.

فأما حفظ القوة: فإنه سبحانه أمر المسافر والمريض أن يفطرا فى رمضان، ويقضى المسافر إذا قدم، والمريض إذا برئ.

الشيخ: حفظ القوة؛ لأن المسافر عليه مشقه وتضعف قوته في السفر، فإذا اجتمع عليه الصيام ومشقة السفر فإنه يؤثر عليه فلذلك الله رخص له في الإفطار، كذلك المريض الذي يلحقه مشقه

بالصيام رخص الله له بالإفطار ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] يقضيها في أيامٍ يرتاح فيها، يستطيع الصيام من دون مشقة بليغة، هذا من رحمته سبحانه، هذا علاج من الله جل وعلا، هذا من أدوية القرآن الكريم.

المتن: فأما حفظ القوة:

الشيخ: والمراد بهذه الرخصة حفظ قوة الجسم؛ لأنه لو صام وهو مسافر ضعف جسمه، ولو صام وهو مريض يضعف جسمه.

المتن: فأما حفظ القوة: فإنه سبحانه وتعالى أمر المسافر والمريض أن يفطرا في رمضان، ويقضي المسافر إذا قدِم، والمريض إذا برِئ حفظاً لقوتهما عليهما، فإن الصوم يزيد المريض ضعفا، والمسافر محتاج إلى توفير قوته عليه لمشقة السفر، والصوم يضعفها.

وأما الحِمية عن المؤذى: فإنه سبحانه حَمى المريض عن استعمال الماء البارد فى الوضوء والغسل، إذا كان يضره، وأمره بالعدول إلى التيمم، حمية له.

الشيخ: المريض إذا كان يشق عليه الوضوء بالبرودة فإنه يتيمم، كنم مرضى او على سفر...فتيمموا} ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: ٦] ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ هذا العذر، ﴿مَّرْضَىٰ﴾ هذا عذر آخر، والمرض الذي يلحق المريض بالوضوء مشقة تأثير على صحته.

المتن: وأما الحمية عن المؤذى: فإنه سبحانه حمى المريض عن استعمال الماء البارد فى الوضوء والغسل، إذا كان يضره، وأمره بالعدول إلى التيمم، حِمية له، عن ورود المؤذى عليه من ظاهر بدنه، فكيف بالمؤذى له فى باطنه.

وأما استفراغ المادة الفاسدة: فإنه سبحانه أباح للمحرم الذى به أذى من رأسه أن يحلقه.

الشيخ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]

يعني يحلق ويفدي، فدية مخيرة، صيام ثلاثة أيام، إطعام ستة مساكين، ذبح شاة، يُخير فيها هذا إذا كان فيه قمل مثلا الذي يمتص دمه ويتأذى منه، يستفرغ من هذا القمل بالحلق، يحلق رأسه وهو

محرم، رخَّص الله له بذلك، أما اللي ما فيه أذى حرام عليه أن يحلق رأسه حتى يتحلل من إحرامه لأن هذا من محظورات الإحرام، فهذا من حماية الله لهذا المسلم من الضار.

المتن: وأما استفراغ المادة الفاسدة: فإنه سبحانه أباح للمحرم الذى به أذى من رأسه أن يحلقه.

الشيخ: إستفراغ يعني يستفرغ من الشعر الذي يجتمع فيه القمل، يتخلص من القمل بهذا.

المتن: فيستفرغ بالحلق الأبخرة المؤذية له، وهذا من أسهل أنواع الاستفراغ وأخفها، فنبَّه به على ما هو أحوج إليه منه، وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر.

الشيخ: إنتبهوا، إنتبهوا، هذا الطب عند ابن القيم، في يوم أنه أخبر به طبيب ماهر تحير الطبيب، وقال هذه الفائدة لو سافرت إلى كذا وكذا أبحث عنها ما وجدتها.

المتن: وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر بهذا، فقال: والله لو سافرت إلى الغرب فى معرفة هذه الفائدة لكان سفرا قليلا، أو كما قال.

وإذا عُرف هذا، فالقلب محتاج إلى ما يحفظ عليه قوته، وهو الإيمان وأوراد الطاعات.

الشيخ: إذا كان الجسم يحتاج إلى ما يحفظ عليه صحته فالقلب محتاج إلى ما يحفظ عليه إيمانه.

المتن: وإذا عُرف هذا، فالقلب محتاج إلى ما يحفظ عليه قوته، وهو الإيمان وأوراد الطاعات، وإلى حمية عن المؤذى الضار، وذلك باجتناب الآثام والمعاصى، وأنواع المخالفات، وإلى استفراغه من مادة فاسدة تعرض له، وذلك بالتوبة النصوح، واستغفار غافر الخطيئات.

ومرضه هو نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره للحق وإرادته له، فلا يرى الحق حقا، أو يراه على خلاف ما هو عليه، أو ينقص إدراكه له، وتفسد به إرادته له، فيبغض الحق النافع، أو يحب الباطل الضار، أو يجتمعان له، وهو الغالب، ولهذا يُفسَّر المرض الذى يعرض له، تارة بالشك والريب، كما قال مجاهد وقتادة.

الشيخ: الذي يعرض للقلب يعني، يُفسَّر المرض ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾

المتن: ، ولهذا يُفسَّر المرض الذى يعرض له، تارة بالشك والريب، كما قال مجاهد وقتادة فى قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] أى شك، وتارة بشهوة الزنا، كما فسر به قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]

الشيخ: مرض شهوة يعني شهوة الزنا إذا سمع خضوع المرأة بالقول طمع فيها، الله أمر المرأة عند خروجها بالاحتجاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ﴾ يعني يُعرفن بالعفة والدين ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩] لأن الفساق ما يتعرضون إلا لضعيفة الدين وضعيفة الإيمان، أما المؤمنة الصادقة فهم يبعدون عنها ما يطمعون فيها، فالحجاب فيه قطع لأطماع الفساق عنها، هذا الحجاب.

وعدم الخضوع بالقول فيه قطع لأطماع الذين في قلوبهم مرض، أمرها بالحجاب وأمرها بعدم الخضوع في القول، وين هالحين النساء؟ هالحجاب يعوض الله على ما قالوا، الكلام والضحك والممازحة والمغازلة حدث ولا حرج، وكأن الشهوة فُقدت من النساء والرجال ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكأن الشيطان مات ولا هو بموجود.

المتن: فالأول مرض الشبهة، والثانى مرض الشهوة.

والصحة تحفظ بالمثل والشَبَه، والمرض يدفع بالضد والخلاف، وهو يقوى بمثل سببه، ويزول بضده، والصحة تحفظ بمثل سببها وتضعف أو تزول بضده.

ولما كان البدن المريض يؤذيه ما لا يؤذى الصحيح: من يسير الحر، والبرد، والحركة، ونحو ذلك، فكذلك القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيء: من الشبهة أو الشهوة، حيث لا يقدر على دفعها إذا وردا عليه، والقلب الصحيح القوى يطرقه أضعاف ذلك وهو يدفعه بقوته وصحته.
وبالجملة فإذا حصل للمريض مثل سبب مرضه زاد مرضه وضعفت قوته وترامى إلى التلف، ما لم يتدارك ذلك بأن يحصل له ما يقوي قوته ويزيل مرضه.

الشيخ: يكفي كلام عجيب نعم.